سرجون وولّى عليها مرزبانًا من مرازبته . وتحت اسوارها تحارب ملك مصر وملك بابل سنة ٦٠٢ قبل المسيح فكانت الغلبة لملك بابل وخضعت له بلاد الشام والارجح ان كركميش خربت حينئذٍ ولم تُعمَّر حتى يومنا هذا وبُنيت مدينة هيرابوليس بدلاً منها

آراء الناس في النفس

(تابع ما قبله)

لم تكد شمس المعارف تغيب عن اطلال المشرق حتى اشرقت في ربوع المغرب فظهر فيه اولاً شرذمة صغيرة من العلماء تلقّت علومها عن العرب الذين استوطنوا الاندلس وجزائر بحر الروم او عن الروم الذين حافظوا على كنوز المعارف في القسطنطينيّة وانطاكية . ثم زاد عددها واوّل الغيث طلٌّ ثمّ يهمرُ . ومن اشهر الفلاسفة المحدثين في ديار المغرب توما اكويناس[1] اللاهوتي الذي قام في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد فانه بحث عن حقيقة النفس في الجزء الاول من كتابه الشهير المعروف باللاهوت الاسمى فقال انها غير ماديّة وهي مصدر الحياة في كل المخلوقات الحيّة . وفصل بين النفس الانسانية والنفس الحيوانية في ان الاولى مستقلّة في افعالها عن المادة لانها تدرك المادّة والمدرِك غير المدرَك بخلاف النفس الحيوانية فانها مفتقرة الى المادة في افعالها . وبنى خلود النفس على عدم ماديتها فقال ان ما ليس بمادة لا يتلاشى الاّ من نفسه فالنفس لا تتلاشى الاّ من نفسها وهي لا تتلاشى من نفسها لان الوجود من لوازمها . ثم ان الشيء لا يتلاشى الاّ اذا فُصِل عن صورته والنفس لا يمكن فصلها عن صورتها لانها هي صورة ولا يمكن فصل الشيء عن نفسه . وتابع معلمة البرنس منفس[2] في ان

(١) توما اكويناس او اكوينو من امراء اكوينو بمملكة نابلي ومن اشهر فلاسفة القرن الثالث عشر ولد سنة ١٢٢٤ ودرس في مدرسة نابلي الجامعة ثم في مدرسة كولون وكان سكوتًا حتى سماهُ رفاقهُ بالثور الساكت الاّ ان استاذهُ البرتس الآتي ذكرهُ قال ان هذا الثور سيملأ خوارهُ المسكونة فاكبَّ على درس فلسفة ارسطو واشتهر امرهُ في مدينة باريس ثم دعي الى رومية لتعليم الفلسفة وعرض عليه ان يكون رئيس اساقفة فابى ذلك مفضلاً خدمة العلم والفلسفة وتوفي سنة ١٢٧٤ وكان يلقب بالوغسطينوس الثاني

(٢) ابو البرت العظيم هو فيلسوف لاهوتي من عائلة امراء بلستات . ولد في اوائل القرن الثالث عشر ودرس في مدرسة بادوا ودخل الرهبنة الدومينيكية سنة ١٢٢١ ودرّس الفلسفة في باريس وشرح كتب ارسطو التي كان اكثرها مجهولاً

النفس الغاذية والشاعرة والعاقلة واحدة في الانسان والاَّ ما كان الانسان واحدًا. وصادق مجمع فين[٣] على ذلك سنة ١٣١١. وتابع القائلين ان النفس توجد كلها في الجسد كله وفي كل جزء منه. ولما نظر الى قوى النفس قال انها لا تبقى كلها فيها بعد مفارقتها للجسد فان بعض القوى مختص بها وحدها كالتعقل والارادة فهذا يبقى وبعضها مختص بها وبالجسد معًا كالحس والتغذي وهذا يزول منها بالفعل عند انفصالها عن الجسد ولكنه يبقى فيها بالقوَّة. وهو في كل ما تقدم يخالف الماديين مخالفة تامة ولكنه قال ايضًا ان النفس كينية في الجسم الحي كما ان الحرارة كينية في الجسم الحار وهو قول مادّي محض ولو لم يكن في اقواله ما يخالفه ويوجب تأويله لعُدَّ به من الماديين او من فريق منهم

ثم قام الفيلسوف دكارت الفرنسوي[٤] الذي يعدُّهُ البعض شيخًا للفلاسفة العقليين المحدثين كما يعدُّ الفيلسوف اسحق نيوتن شيخًا للفلاسفة الطبيعيين وفرق بين النفس والمادة فرقًا تامًّا فقال ان المادَّة تقوم بالامتداد وتُعرَف بالحواس وتُعلم خواصها بالبحث الطبيعي والنفس تقوم بالتعقل وتعرَف بالوجدان ولا تعلم خواصها بشيء مما يدرك بالحواس الظاهرة. وكان يعتقد ان النفس مستترة في الغدة الصنوبرية من الدماغ وهي الغدَّة التي بيَّنا في الجزء الثاني من منتطف هذه السنة انها اثر عين موجودة في بعض انواع الحيوان فلو كان دكارت حيًّا ورأى هذا البيان لأُسقط في يده إن لم يكن فيلسوفًا حقيقيًّا يعتبر نقض رأي من آرائه بحجة قاطعة اكتشافًا علميًّا مهمًّا مثل تأييده بحجة قاطعة. وفرق دكارت بين النفس والحياة وانكر العقل على الحيوان الاعجم وعدَّ التجماوات كلها آلات ميكانيكية وقال ان بينها وبين الانسان حدًّا فاصلاً لا يمكن ازالته

وتعتبر فلسفة دكارت من حيث فرقة بين العقل والمادة او النفس والجسد فانه فرق بينها بفروق واضحة جدًّا. ولكن ادلته على عدم مادية العقل او النفس سقيمة ومن اقواها ان المادة يمكن قسمتها والعقل لا يمكن قسمته ولذلك فجوهرهُ غير جوهرها. وقد خفي عليه ان قطعة النحاس يمكن قسمتها بسهولة ويبقى كل قسم من اقسامها نحاسًا ولكن الساعة النحاسيَّة لا يمكن قسمتها ويبقى كل قسم من اقسامها ساعةً مع

(٣) هو المجمع السادس عشر من مجامع الكنيسة الكاثوليكية التأم بامر البابا اكليمندس الخامس

(٤) هو الفيلسوف رنه دكارت احد مطلعي الفلسفة ولد سنة ١٥٩٦ وأرسل وهو في الثامنة من عمره الى مدرسة اليزويت فظهرت براعته في الرياضيات والفلك ثم تعلق على درس الفلسفة فاثار غوامضها ووضع فيها طريقة جديدة تنسب اليه

ان مادّة النحاس مثل مادّة الساعة . ولا يخفى ان انتقاض ادلّة دكارت لا ينقض مدلولهُ اي ان النفس غير المادّة لانهُ قد يكون لهذا المدلول ادلّة اخرى لا تُنقض

ومن الفلاسفة المشهورين بعد دكارت الفيلسوف لوك(٥) الانكليزي وهذا انكر وجود النفس مستقلّةً عن المادة وقال انهُ يسهل على الله تعالى ان يربط العقل بالمادة كما يسهل عليهِ ان يربط النفس بالجسد . وان من ينظر في الادلّة المقامة على روحانية النفس او على مادّيتها نظر المتفقد البصير لا يجد فيها ما يثبت الاولى ولا ما يثبت الثانية

واستعرت نار الجَدَل بين الماديين والروحيين في القرن الثامن عشر الميّ استعار واشتهر في هذه الحرب كثيرون مثل بريستلي(٦) وده لامتري وكلارك وغيرهم . اما بريستلي فمن زعماء الماديين وهو اوّل من افسد الدليل الذي كان الروحيون يعوّلون عليهِ حينئذٍ متابعين فيهِ الفيلسوف اسحق نيوتن وهو قولهم ان المادة جسم غير فعّال لا يتداخل بآخر ولا يتحرّك من نفسهِ اذا كان ساكنًا ولا يسكن من نفسهِ اذا كان متحرّكًا اي ان خواصها سلبيّة . فقال ان المادة معطاة قوة الفعل فان فيها قوة الجذب وقوة الدفع . وعدم تداخلها دليل على وجود قوة الدفع فيها . (وكاد يقول بقول بسكوفتش الذي يزعم ان المادة مؤلفة من مراكز قوة ونقط جذب ودفع) . فاذا كان في المادة فعل ذاتي فعلى مَ لا يكون العقل من افعالها لاسيما وان الحس والادراك لا يُعلَم وجودهما الاّ في المادة . ومن قواعد نيوتن ان لا يفرَض وجود علّة يمكن الاستغناء عنها . وقوى العقل يمكن تعليلها كلها بانها من خواص المادة فعلى مَ نفرض وجود ذات أُخرى غير المادة . وافسد القول المتعارف وهو ان جسم الانسان يقاوم افعال نفسهِ فقال لو كان ذلك صحيحًا لوجب ان تقوى النفس بضعف الجسد حتى اذا مرض الانسان ونحل جسمهُ وكاد يحلّ تقوّى عقلهُ ونفسهُ بنحول جسمهِ . وبيّن صعوبة القول بتعلّق شيء غير مادي ولا ذي امتداد بالجسم المادي ذي الامتداد . وحاول اثبات المذهب المادي من التوراة والانجيل مدّعيًا انهما يحسبان الانسان جوهرًا واحدًا ذا

(٥) هو جون لوك الفيلسوف ولد بقرب برستل ببلاد الانكليز سنة ١٦٣٢ ودرس في اكسفرد وتعلق على درس كتب باكن ودكارت وارسطو وكان ميالاً الى الفلسفة الامتحانية وله شهرة في السياسة كما له شهرة في الفلسفة

(٦) هو يوسف بريستلي الفيلسوف الانكليزي ولد سنة ١٧٣٣ وكان من خدمة الدين وكتب ضد الفيلسوف هيوم ولكنهُ مال في كتاباتهِ الى نصرة الماديين

خواص روحيّة . وشاع مذهب بريستلي في اواخر القرن الماضي وكثر اشياعهُ فيهِ وفي اوائل هذا القرن

ومن اشهر الفلاسفة المحدثين الذين قاوموا الفلاسفة الماديين دوگلد ستورت[٧] وقد قال الفيلسوف باين[٨] ان دوگلد ستورت لم يناقض مذهب الماديين بمناقضتهِ من يفرّق بين النفس والجسد لان ذلك ليس من مذهب الماديين في شيء فان الماديين يقولون ان النفس غير الجسد ولكنها لا توجد وحدها مجرّدة عن الجسد بل نسبتها اليهِ نسبة الحرارة الى المادة فكما ان الحرارة لا تقوم بدون المادة كذلك النفس لا تقوم بدون الجسد . وهذا اقرّ عليهِ دوگلد ستورت اذ قال ان عندنا دليلاً قويًّا على ان فينا شيئًا يفتكر ويحس ويفرق عن المادة فرقًا جوهريًّا ولكن ليس عندنا دليل على ان هذا الشيء يعمل اعماله مستقلاً عن الجسد . وبرّر الفلاسفة العقليين في بحثهم عن علاقة النفس بالجسد غير ملتفتين الى حقيقة هذه العلاقة ومع ذلك خالف الماديين القائلين ان النفس او العقل من افعال المادة . الاّ ان الماديين يقولون كما قال الاستاذ فرير[٩] ان القول بان قوى العقل لا يمكن صدورها من المادّة تحكّم محض لانهُ مَن من الناس حدّد افعال المادّة وقال لما هذه افعالكِ التي يمكنكِ ان تفعليها فافعليها وهذه الافعال الاخرى لا يمكنك فعلها او مَن يستطيع ان يدّعي انهُ عرف كل افعال المادّة . ثم ان المادّة معروفة والجميع مقرّون عليها واما العقل فلا يقرّ الجميع بوجود ذاتهِ ويمكن تعليل جميع الظواهر العقليّة بانها من افعال المادّة فلا داعي لفرض ذات أُخرى غير المادّة . هذا احتجاج الاستاذ فرير

اما الفيلسوف هملتون[١٠] — وكنا ننتظر ان نسمع منهُ القول الفصل في هذه المسألة — فلم يحكم فيها مع انهُ كان مخالفًا الماديين بل قال اننا لا نعلم شيئًا يقينيًّا عن علاقة النفس بالجسد . وهذا ينكرهُ عليهِ الماديون ويقولون اننا نعلم اشياء كثيرة عن علاقتها ولا يبعد اننا نعلم يومًا ما كل علاقات النفس بالجسد . والحقيقة ان ما يعلم قليل جدًّا في

(٧) قد تقدمت ترجمة هذا الفيلسوف في الجزء الاوّل من السنة الحادية عشرة من المقتطف

(٨) هو الفيلسوف الكسندر باين احد الفلاسفة المعاصرين واستاذ المنطق في مدرسة ابردين الجامعة وعليهِ جلّ الاعتماد في هذه المقالة

(٩) الدكتور يعقوب فرير استاذ الفلسفة الادبية في مدرسة ادنبرج الجامعة وتوفي سنة ١٨٦٤

(١٠) هو السر وليم هملتون الفيلسوف الشهير اشهر الفلاسفة الاسكتلنديين ولد سنة ١٧٨٨ وصار استاذًا للمنطق والمتافزيك (ما فوق الطبيعيات) في مدرسة ادنبرج الجامعة

جنب ما لا يعلم كما قال الاستاذ منسل[11] رفيق الفيلسوف هملتون قال اننا حتى الآن لا نعلم كيف يفعل العقل بالجسد والجسد بالعقل كما اننا لا نعلم كيف ان انكسار النور المادّي في العين ينتج عنهُ الفعل العقلي الذي هو الإبصار ولا كيف ان الارادة تفعل في تحريك العضلات . ويمكننا ان نبحث في افعال المادة والعقل معًا كما يمكننا ان نبحث في بناء الارض ونظام الافلاك معًا واما اذا اردنا ان نعرف الحدّ الفاصل بينهما كان مثلنا مثل ولد يفتش عن الفاصل بين الارض والسمـــاء

وبعد ان ضعف امر الماديين تقوّى ثانيةً في جرمانيا في الثلاثين السنة الاخيرة وكان العلماء الطبيعيون في مقدمتهم مثل ملشت[12] الفسيولوجي الذي انكر وجود النفس وقال ان افعال العقل كلها من افعال المادة وعبارتهُ المشهورة وهي "لا فكر بلا فسفور" جرت مجرى المثل . وقفت الذي دافع عن آراء الماديين اشد دفاع . واشهر هؤلاء العلماء بخنر الذي ذاع شرحهُ على مذهب داروين في العربية فان له كتابًا موضوعهُ المادة والقوة شرح فيهِ آراء الماديين اوضح شرح ودافع عنها اشد دفاع حتى ذاع القول ان لا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة . ولكن هؤلاء الفلاسفة الماديين ليسوا في مقدمة فلاسفة العصر ولا يظهر من مؤلفاتهم انهم أوتوا الحكمة وفصل الخطاب بل ان الجمهور الاكبر من الفلاسفة المعوّل على قولهم يخالف مذهب الماديين ويناقضهُ . وقد بيّنا في مكان آخر فساد فلسفة الماديين بما يعتمد عليهِ اضدادهم من الادلّة الراهنة

وجملة القول ان البشر من وقت كانوا في حال الفطرة والبداوة الى الآن اعتقدوا ان في الانسان نفسًا ناطقة خالدة ولكنهم عجزوا عن ادراك حقيقتها

منارة عظيمة

استُعملت الكهربائية في كثير من المنائر البحرية كما استُعملت في منارة بورت سعيد ولكن ما من قنديل من قناديل هذه المنائر بلغ ما بلغهُ القنديل الذي في منارة سنت كاترين في جزيرة ويت ببلاد الانكليز فان نورهُ يعادل نور سبعة ملايين شمعة . والكهربائية التي تحدث هذا النور الباهر تتولد بثلاث آلات بخارية قوّة كلٍّ منها ١٢ حصانًا

(١١) هو انس هنري منسل استاذ الفلسفة الادبية والمانطيك في مدرسة اكسفرد الجامعة ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٧١

(١٢) هو الدكتور يعقوب ملشت ولد بهولندا سنة ١٨٢٣ ودرّس الفلسفة في مدرسة تورين الجامعة